



“القاعدة” بعد مقتل الظواهري

الإبحار مع الأزمات؛ مأزق القيادة، تفكك التحالفات وإشكالية المنهج



محمد أبو رمان وحسن أبو هنية

آب 2022



ملخص عام

يجادل الباحثان الأردنيان المتخصصان في الإرهاب والتطرف، محمد أبو رمان وحسن أبو هنية، في هذا المقال التحليلي، بأنه بالرغم من أنّ الخبرة العملية مع الحركات الجهادية، مثل القاعدة وداعش، أكدت أنّها لا تتأثر كثيراً بمقتل القيادات ولديها القدرة السريعة على إعادة بناء الصفوف القيادية والتكيف مع الضغوط الأمنية المختلفة. مع ذلك فإنّ لمقتل قائد القاعدة، أيمن الظواهري، تحديداً، تأثيراً قد يتجاوز في تداعياته وانعكاساته ما حدث سابقاً مع أهم قيادات جهادية عالمية، مثل أسامة بن لادن وأبي مصعب الزرقاوي وناصر الوحيشي وسعيد الشهري وحتى أبي بكر البغدادي وغيرهم.

يضمن السرّ الأكبر في تأثير مقتل الظواهري على القاعدة في التوقيت والسياق العام، فالقاعدة عملياً تعاني منذ أعوام من أزمات بنيوية كبيرة، وتشهد تراجعاً مستمراً في قدراتها وعملياتها وانتشارها. ويعرض المقال إلى أبرز الأزمات التي تعيشها القاعدة وفي مقدمتها أزمة القيادة، وأزمة فك الارتباط والعلاقة مع حركة طالبان، وتمرد الفروع وتراجع الانتشار الجغرافي وأزمة الرؤية والمنهج.

بالرغم من ذلك كلّهُ فإنّ الحكم بصورة مطلقة على انتهاء القاعدة وأقولها يحتاج إلى تروّ وتأنّ؛ ففي الوقت نفسه لم تصعد القاعدة من فراغ، وإنّما هي انعكاس ونتيجة منطقية وموضوعية لأزمات العالم العربي والإسلامي الكبرى؛ من سلطوية واستبداد وتبعية وفساد وفشل اقتصادي وتنموي، ويضاف لها مؤخراً الانقلاب على الربيع العربي الذي مثّل فرصة أو نافذة أمل للشعوب للخروج من المأزق والتيه، لذلك فإنّ المبررات الأيديولوجية والمحركات التي وقفت وراء مشروع القاعدة ما تزال قائمة، وربما قوية.

ينهي الباحثان المقالة بإشارات مستقبلية ما بين ضعف الراهن للقاعدة وديناميكيات الأزمات التي تعصف بها، والديناميكيات الأخرى التي تخلق حالة من الفراغ الاستراتيجي في العالم العربي، ما يبقى المجال مفتوحاً والباب موارباً لمثل هذه الأفكار لتجد أذنّاً صاغية ومجموعات شبابية تبحث عن حلول راديكالية لواقع بائس!



ورقة مسار صادرة عن معهد السياسة والمجتمع

بالرغم من أنّ الظواهري ليس القائد الأول الذي يُقتل في صفوف قادة القاعدة الكبار، سواء أسامة بن لادن، الزعيم التاريخي السابق، أو حتى قيادات الصفّ الأول التاريخيين أمثال أبو حفص المصري وأبو يحيى الليبي وعطية الله وغيرهم، وبالرغم كذلك من أنّ مرحلة الظواهري شهدت تراجعاً وانحداراً كبيراً في قدرات القاعدة المركزية في أفغانستان، وشبكة فروعها الإقليمية في إفريقيا والشرق الأوسط وجنوب آسيا، وانخفاضاً ملحوظاً في قدراتها العملياتية ومستوى عملياتها؛ إلا أن مقتل الظواهري في نهاية شهر تموز الماضي (بواسطة صاروخين موجّهين "هلفاير" من طائرة مسيرة بدون طيار) يمثل ضربة قاصمة للقاعدة، تتجاوز في قوتها وتأثيرها على التنظيم ما حدث من قبل مع قيادات القاعدة، وذلك نظراً للظرف والسياسات والتوقيت الحالي الذي تواجه فيه القاعدة تحديات مصيرية غير مسبوقة.

أزمة القيادة والشرعية:

تمثل أزمة القيادة منعطفاً خطيراً في مسيرة التنظيم، الذي تأسس على نوع من الزواج والتناغم بين كل من أسامة بن لادن والظواهري، والمكون السعودي والمصري، وقد أدى مقتل بن لادن سابقاً في 2 مايو/ أيار 2011، في أبوت أباد في باكستان بعملية أمريكية خاصة إلى فراغ كبير في أوساط أعضاء القاعدة وأنصارها من التيار الجهادي العالمي، لم يتمكّن خليفته الظواهري بالرغم من إرثه الكبير في الجهادية العالمية، وما يملكه من قدرات أكبر من بن لادن في مجال التنظير الأيديولوجي، أن يملأه، بل على العكس برزت إشكاليات متعددة مرتبطة بخلافة الظواهري، في مقدمتها الأزمات البنيوية المعروفة بين الأجنحة المختلفة داخل القاعدة والمجموعات المتنوعة؛ خاصة الاتهامات التقليدية بهيمنة المجموعة المصرية على الحلقة العليا المقربة من بن لادن، ما أدى إلى وجود فجوات في مستوى القبول والاقتران بقيادة الظواهري، فضلاً عن بدايات التفكك الكبرى في عهده خاصة الخلافات الشديدة (كما سنذكر لاحقاً) مع تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ثم انفصال جبهة النصرة- هيئة تحرير الشام لاحقاً عن القاعدة.

صحيح أنّ الظواهري قد لا يتحمل بصورة شخصية المسؤولية كاملة عما آلت إليه حالة القاعدة خلال مرحلة قيادته (منذ 2011-2022)؛ فهناك تطورات دولية وإقليمية عديدة حدثت، لكن - بالضرورة - لم تكن شرعيته أو شعبيته كأسامة بن لادن الذي يتمتع بشخصية كاريزمية، والذي جعل أبو مصعب الزرقاوي، بالرغم من خلافاته الكبيرة مع القاعدة مضطراً لإعلان



ورقة مسار صادرة عن معهد السياسة والمجتمع

انتمائه إليها وإعلان البيعة لابن لادن، كما أنّ الملاحقة الأمنية الاستخبارية الأميركية والدولية المكثفة والدقيقة المستمرة له والمزودة بأحدث الأجهزة التكنولوجية، أجبرت الظواهري على الاختفاء والتخفي لفترات طويلة تصل لشهور متواصلة، مما أضعف دوره وحجم تأثيره وخلق العديد من الأزمات الداخلية في أوساط شبكة القاعدة،

تتعزّز الأزمة اليوم بعد مقتل الظواهري بغياب أغلب قيادات الصف الأول والثاني التي شهدت تأسيس القاعدة وخطت ونفذت هجمات كينيا وتنزانيا 1998 وصولاً إلى هجمات 11 سبتمبر 2001، فالشخصيات الرئيسية التي تمتلك مفاتيح مهمة في التنظيم على الصعيدين الإيديولوجي والاستراتيجي قتل معظمهم، أمثال: أبو حفص المصري، وأبو محمد المصري، أبو يحيى الليبي، وعطية الله الليبي، وأبناء بن لادن سعد وحمزة، وفي الفروع قتل أبو خالد السوري، وأبو فراس السوري في سوريا، وأبو بصير ناصر الوحيشي وسعيد الشهري وأبو هريرة قاسم الريمي (في قاعدة جزيرة العرب- اليمن)، وأبو مصعب عبد الودود (القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي _ شمال أفريقيا)، ومختار أبو الزبير (القاعدة في الصومال _ حركة الشباب)، لكن الضربة الموجهة الكبرى كانت مقتل حمزة بن لادن نجل أسامة بن لادن، وكان يعوّل على هذا الشاب الصغير أن يكون خليفة والده وأن يعيد بناء القاعدة وترصيص صفوف الجهاديين حول العالم.¹

لم يتبق من الشخصيات التاريخية المعروفة والمرشحة - ضمن التقييمات التقليدية- لتولي موقع زعامة القاعدة بعد مقتل الظواهري، إلّا سيف العدل، وهو محمد صلاح الدين زيدان المصري، وهو من القيادات العسكرية والأمنية المعروفة في القاعدة، ومن المؤكد أنّه بقي لفترة طويلة محتجزاً في إيران مع مجموعة من قيادات القاعدة، ولا يعرف حالياً فيما إذا كان قد غادرها إلى مكان آخر، أم أنّه ما يزال هناك، مما يخلق مشكلات وتساؤلات عديدة في

¹ في عهد الظواهري خسرت القاعدة عدد من أمثال أبو الزبير مختار في فرع الصومال الذي قتل في بداية أيلول/ سبتمبر 2014، بطائرة أمريكية، الأمر الذي تكرر مع مقتل أبو بصير ناصر الوحيشي امير القاعدة في جزيرة العرب في اليمن بطائرة أمريكية بدون طيار في 9 حزيران/ يونيو 2015، وكان تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي قد فقد زعيمه التاريخي عبد الملك دروكدال الملقب بأبي مصعب عبد الودود في الخامس من حزيران/ يونيو الماضي، في عملية عسكرية في شمالي مالي في 3 حزيران/ يونيو 2020، وقد خسر الفرع السوري "حراس الدين" معظم قياداته خلال الفترة بين 2018 _ 2021 أمثال ابو محمد السوداني وابو القسام، وفي آب/ أغسطس 2019، قتل حمزة بن لادن، نجل زعيم القاعدة الراحل أسامة بن لادن، في عملية أمريكية خاصة في منطقة واقعة على الحدود بين أفغانستان وباكستان، والذي كان مرشحاً لقيادة تنظيم القاعدة وإعادة هيكلته، وإحياء القاعدة في سوريا، وفي السابع من أغسطس/ آب 2020 خسرت القاعدة عبد الله أحمد عبد الله أبو محمد المصري، وهو الرجل الثاني في القاعدة، وقد اغتيل المصري في إيران عن طريق عملاء للموساد في طهران.



ورقة مسار صادرة عن معهد السياسة والمجتمع

أوساط القاعدة حول شرعية هذا الخيار وعلاقته بإيران، فضلاً عن الحساسيات التقليدية التاريخية المعروفة لدى أجنحة القاعدة نحو هيمنة المجموعة المصرية².

ومن المرشحين عبد الرحمن المغربي، وهو صهر أيمن الظواهري، فهو -وفقاً لوزارة الخارجية الأميركية- الرئيس التاريخي لمؤسسة "السحاب" التي تعد الفرع الإعلامي للقاعدة، كما أنه يرأس مكتب الاتصالات الخارجية حيث يتم التنسيق مع فروع القاعدة خارج الملاذ الأفغاني الباكستاني، ومن المرشحين أيضاً يزيد مبارك الملقب بأبي عبيدة يوسف العنابي الذي بويغ أميراً للقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي عام 2020 بعدما قتلت غارة فرنسية سلفه أبو مصعب عبدالودود، أما المرشح الرابع فهو أحمد ديرري رئيس فرع القاعدة في شرق أفريقيا. "حركة الشباب" في الصومال.

فك الارتباط بين طالبان والقاعدة.. غياب البديل

أسس أسامة بن لادن شراكة استراتيجية مع حركة طالبان منذ صعودها عام 1994، ثم سيطرتها على أفغانستان، وقدم بيعة رسمية للملا عمر خليفة للمسلمين، ثم استمر تنظيم القاعدة بتكريس هذه العلاقة الاستراتيجية مع حركة طالبان بعد إزاحة الإمارة الإسلامية عقب الحملة الأمريكية على الإرهاب نهاية 2001، وتوثقت العلاقة بين القاعدة وطالبان بعد مقتل كل من بن لادن 2011 والملا عمر 2015، وإن كان من الواضح أنّ هنالك جناحاً براغماتياً نافذاً في حركة طالبان بدأ يعلن صراحةً أنّه يضيق ذرعاً بهذه العلاقة لما تحمّله للحركة من أعباء وأزمات مع العالم بأسره، في وتحميل القاعدة مسؤولية ما حدث مع "الإمارة البشتونية" بعد أحداث 11 سبتمبر والحرب الأفغانية.

وبالرغم من أنّ الظواهري استمر على نهج بن لادن في إعلان مبايعة حركة طالبان وخلفاء الملا عمر، اختر منصور، ثم هبة الله أخوند زادة، كما أنّه أعلن تأييده للحركة بعد إعادة السيطرة على أفغانستان في آب/أغسطس 2020، عقب الانسحاب الأمريكي، إلا أنّ الحقيقة الساطعة التي لم يستطع الظواهري تغطيتها تتمثل في أنّ الحركة كانت قد أقرت باتفاقات الدوحة في شباط/فبراير 2020 مع الإدارة الأميركية بعدم استخدام الأراضي الأفغانية لشن هجمات على الولايات المتحدة وحلفائها، لكن الضربة الأخيرة باغتيال الظواهري تشير إلى وجود خلل في اتفاق الانسحاب الذي وقعته الولايات المتحدة مع طالبان، والذي يسمح

² يذكر مزجر الشام في تغريدة له أنّ أبو خالد السوري، القائد القاعدي الذي قتل في سوريا، وكان مقرباً من الظواهري، استبعد في حوار سابق مع مجموعة من الجهاديين في سوريا أن يتولى سيف العدل زعامة القاعدة بعد الظواهري، نظراً لمحدودية الفكرية. انظر: ردود فعل الأفعال الجهادية على مقتل أيمن الظواهري: القاعدة صامتة والخلافات تلوح في الأفق، موقع أخبار الآن، 3-8-2022.



ورقة مسار صادرة عن معهد السياسة والمجتمع

للقاعدة والجماعات المسلحة الأخرى بالبقاء في أفغانستان طالما أنها لا تتدرب أو تجمع الأموال أو تخطط لشن هجمات، ومع ذلك كان واضحاً منذ بداية عودة طالبان حرص جناحها البراغماتي غير الرسمي على فك الارتباك مع القاعدة. ومقايسة حكم الحركة بتطبيع العلاقات الخارجية، بينما كان الجناح الراديكالي وخصوصاً شبكة حقاني ما تزال تبقي على العلاقة مع القاعدة وتوفر شبكة حماية لها، فشبكة حقاني، تمثل الجزء الرئيس الذي ما يزال على علاقة جيدة مع القاعدة وقياداتها.

في المقابل يبدو أنّ مقتل الظواهري مرتبط - على الأغلب- بوجود اختراقات في شبكة حماية الظواهري وهي خلافات مرتبطة بالخلافات في أوساط طالبان وحلفائها في التعامل مع القاعدة وشبكتها المحدودة التي ما تزال موجودة اليوم في أفغانستان، إذ يقدر أحد تقارير "الأمم المتحدة" العام الماضي أن تنظيم "القاعدة" ما زال يضم حوالي 400 إلى 600 عضو في البلاد، وهم يقاتلون إلى جانب حركة "طالبان" بشكل دوري، ويشاركون في جمع الأموال وصنع القنابل. كما تكثر الروابط الاجتماعية التي تجمع التنظيمين عبر الزيجات بين المجموعتين³.

الإشكالية في مرحلة ما بعد الظواهري وما قد تثيره من أسئلة وشكوك بين القاعدة وطالبان تتمثل في عدم وجود بديل استراتيجي يمكن أن يحتضن قيادة القاعدة القادمة إذا تخلت طالبان عن القاعدة، مع تراجع حالة الفروع والجماعات المرتبطة بها عالمياً (كما سنشير لاحقاً)، فقد جاء أسامة بن لادن والظواهري وبدأت أفغانستان تصبح ملاذ الجهاديين - مرة أخرى - منذ ربع قرن، ولا يوجد حالياً ملاذ آخر واضح للعيان، بخاصة بعد انفصال هيئة تحرير الشام عن القاعدة، وتراجع التنظيم في اليمن وأفريقيا باستثناء الفرع الصومالي، وازدياد مستويات التنسيق الأمني الدولية والإقليمية فستكون عملية اصطيد القيادات أكثر سهولة، وفي حال تدهورت الأمور أكثر بين الحركة وحكومة طالبان فإنّ البدائل أمام العائلات القاعدية والمجموعات التي ما تزال موجودة في أفغانستان ستكون شبه معدومة، باستثناء بعض المناطق الحدودية مع باكستان، فلا توجد هنالك بقعة اليوم يمتلك فيها التنظيم حضوراً قوياً والوصول إليها ممكناً.

أزمة الفروع والقواعد المختلفة

إذا كانت القيادة المركزية للقاعدة في أفغانستان تعيش حالة من الانحدار، فإن الفروع الإقليمية تعيش حالة من التشرذم والانقسام، وتؤكد حالة تنظيم "قاعدة الجهاد في

³ لمزيد من الفصيل، أنظر: توماس باركر، ما مستقبل الجماعات الإرهابية القائمة في أفغانستان؟، معهد واشنطن، 28 يونيو 2021، على الرابط: <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/ma-mstqbl-aljmaat-alarhabyt-alqaymt-fy-afghanstan>



ورقة مسار صادرة عن معهد السياسة والمجتمع

جزيرة العرب" الذي صفتته وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) في العام 2010 أنه أكثر فروع التنظيم خطورة؛ على ما آلت إليه القاعدة. فبعد أن كان الفرع الأخطر والأكثر نشاطاً بين الفروع، إلا أنه شهد انحداً، حيث تراجع نشاط التنظيم العملياتي بشكل متدرج منذ العام 2015، رغم الظروف الموضوعية التي كانت تشير إلى حتمية صعوده.⁴

شهدت السنوات الماضية توسعاً في تحالفات تنظيم القاعدة القبلية والعرقية على غرار جماعة نصره الإسلام والمسلمين التي تعبر عن أكبر تحالف للقاعدة في العالم، والتي ضمت إلى جوار تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي كلاً من جبهة تحرير ماسينا التي تمثل عرقية الفولاني، وجماعة أنصار الدين التي تعبر عن الطوارق في مالي، إضافة إلى تنظيم المرابطون الذي يمثل العرقية العربية؛ ما قد يجعل رحيل الظواهري سبباً في انهيار هذه التحالفات. فقد بايعت هذه الحركات - برغم ما بينها من تباينات فكرية وعرقية - الظواهري لاعتناها بشخصيته ولما يتمتع به من شهرة جهادية كبيرة وقدرة نظرية عالية، وتجنباً أيضاً لحدوث صراعات عرقية داخل الحركة، ولكن مع انسحاب فرنسا من مالي انتعشت جماعة نصره الإسلام والمسلمين البايعة للقاعدة وكذلك القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، واستغل تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي حالة الفوضى التي عمت منطقة الساحل ليصبح أحد أكثر فروع التنظيم العالمي نشاطاً وقيمة عبر تنفيذ عمليات اختطاف لرهائن غربيين وشن هجمات عبر مساحات شاسعة من الأراضي.⁵

كما شهد تنظيم القاعدة في شبه القارة الهندية انتكاسة منذ تأسيسه عام 2014، وتشير مصادر عديدة إلى مقتل زعيمه أسامة محمود الذي تولى قيادة التنظيم بعد مقتل أميره السابق عاصم عمر في أفغانستان في 23 أيلول/ سبتمبر 2019، ومنذ تأسيسها عام 2017 فقدت الجماعة عدداً من قادتها. من المرجح أن يوفر النجاح المستمر لطالبان المزيد من الزخم لتنظيم القاعدة في شبه القارة الهندية، والتنظيم الأم، لإعادة تشكيل أهدافه والتفكير في توسيع وجوده وعملياته، في جميع أنحاء جنوب آسيا. وهذا ممكن نظراً لأن التنظيم لديه ملاذ آمن في أفغانستان التي تسيطر عليها طالبان، حيث يمكنه إعادة تجميع صفوفه، وزيادة عدد أفرادها.⁶

⁴ انظر: إليزابيث كيندال، أين تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الآن؟ مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، أكتوبر 2021، على الرابط:

<https://sanaacenter.org/ar/publications-all/analysis-ar/15370>

⁵ انظر: كاليب فايس، جدل التفاوض والعسكرة: تكتيكات تمدد "القاعدة" من المغرب العربي إلى غرب أفريقيا، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، يوليو، 2022، على الرابط: <https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7427/%D8%AC%D8%AF%D9%84>.

⁶ انظر: محمد سنان سينش، تنظيم القاعدة في شبه القارة الهندية: بعد عودة طالبان، مركز عين أوروبية على التطرف، فبراير 2022، على الرابط: <https://eeradicalization.com/ar/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%-.D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D9%81%D9%8A>



ورقة مسار صادرة عن معهد السياسة والمجتمع

تشكل حركة الشباب في الصومال حالة استثنائية فهي تشهد صعوداً ونوسعا وبعد سحب ترامب الجنود الامريكان من المنطقة وهم نحو 700 جندي اعاد بايدن الجنود، وحصل الظواهري على ثمار قراره تقوية حركة الشباب في الصومال. ويمكن القول إن مسيرة العشرين عاما من الدعم الأميركي السابق الذي انتهى عام 2021 دون أن تتمكن الصومال من إضعاف قوة حركة الشباب إلا جزئياً، تطرح مخاوف أقلها احتمالية انهيار الحكومة المركزية في البلاد.⁷

وتبقى بالطبع هيئة تحرير الشام المثال الأكثر بروزاً على انشقاق أحد أبرز الفروع المرتبط بالقاعدة عن التنظيم الأمّ، ما أدى إلى مطاحات فكرية بين الطرفين، ثم ولادة تنظيم "حراس الدين"، الذي مثل القاعدة في صورتها الأخيرة الباهتة في منطقة المشرق العربي، وهو تنظيم ضعيف محدود القدرات وأصبح اصطياد قاداته المحسوبين على مجموعة خراسان المميزة في أوساط القاعدة مهمة سهلة للطيران الأميركي والغربي بتسهيلات غير مباشرة من قبل هيئة تحرير الشام التي انقلبت على القاعدة.⁸

أزمة المنهج والحيرة الاستراتيجية

أزمة المنهج والرؤية الاستراتيجية أو نظرية العمل لدى القاعدة لا تقل مستوى من الأزمات السابقة، فمن المعروف أنّ القاعدة قامت بمراجعات كبيرة قبل مقتل أسامة بن لادن 2011، بإشراف منه وبصياغات ومساهمات رئيسية من أبي يحيى الليبي، وعطية الله الليبي، وانتهت تلك المراجعات النقدية إلى ولادة شكل جديد من أشكال المنهج أو تطوير في نظرية العمل نحو اعتماد نموذج يقوم على الاهتمام أكثر ومراعاة المجتمعات المحلية وبناء شبكة علاقات ودية معهم، وعدم الإصرار على راية القاعدة، أو حتى الإمساك في الحكم، في حال تمت عملية القضاء على نظام معادٍ للتنظيم.

أسفرت هذه المجموعات مع التوجه أكثر نحو مزيد من اللا مركزية عن ولادة ما يسمى جماعات أنصار الشريعة، في أكثر من دولة، وكان المثال الأقرب لهذا النموذج هو جبهة النصرة في الحرب الداخلية في سوريا، لكن مجموعة الانتكاسات والخلافات الداخلية في أوساط القاعدة وعلاقتها بالفروع الجديدة، مثلما حدث مع جبهة النصرة، ومن قبل تنظيم

⁷ انظر: ميرفت عوف، واشنطن تعود إلى الصومال.. شرطي العالم في أفريقيا من جديد، الجزيرة نت، على الرابط:

<https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2022/6/9/%D9%88%D8%A7%D8%B4%D9%86%D8%B7%D9%86-%D8%AA%D8%B9%D9%88%D8%AF-%D8%A5%D9%84%D9%89>

⁸ لمزيد من التفصيل، انظر: محمد أبو رمان وحسن أبو هنية، تنظيم حراس الدين: صعود القاعدة وأولها في المشرق العربي، مؤسسة فريديش أيبيرت، مكتب عمان، 2021،



ورقة مسار صادرة عن معهد السياسة والمجتمع

داعش خلق جملة من التساؤلات حول نظرية العمل والتغيير لدى التنظيم بصورة واضحة ومحددة، فعلى سبيل المثال فإنّ التنظيم أكد على عدم الاستعجال في إقامة دولة إسلامية في بقعة معينة، أو التورط في شؤون الحكم والصدام مع المجتمع، لكنه الفروع القاعدية لم تلتزم بذلك، سواء سابقاً من خلال جبهة النصرة التي أقامت ما يشبه الإمارة في المناطق التي سيطرت عليها (قبل أن تستقل عن القاعدة) أو حتى قاعدة الجزيرة العربية التي أيضاً سيطرت على أراض معينة قبل أن ينحسر تأثيرها.

أزمة الرؤية الاستراتيجية والمنهج تتبدى بصورة واضحة عند المقارنة مع تنظيم داعش الذي يمتلك تصورات نظرية واستراتيجية أكثر صلابة ووضوح من تنظيم القاعدة، مما يجعله أكثر قدرة على استقطاب العناصر الجهادية الجديدة، من جيل الشباب ممن يبحثون عن منظومة عقائدية وفكرية وسياسية واضحة.

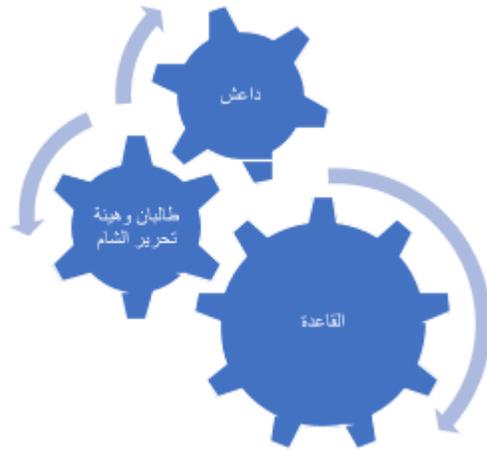


ورقة مسار صادرة عن معهد السياسة والمجتمع

التماسك الداخلي وهشاشة الحالة التنظيمية

ثمة ما يدفع إلى الاعتقاد والقناعة أن القاعدة ستعاني في الفترة القادمة من موجة انشقاقات وتفكك على أكثر من صعيد، وهو أمر ناجم عن الأسباب والسياقات السابقة: أزمة القيادة + أزمة الرؤية والمنهج + أزمة الفروع + أزمة التحالفات الخارجية والشراكات الاستراتيجية. ومن المعروف أنّ الانشقاق الأكبر الذي حدث مع القاعدة تمثل بخروج تنظيم الدولة الإسلامية من رحم التنظيم، مما أدى إلى انقسام الجهادية العالمية نفسها بين مجموعات أقرب إلى القاعدة ومجموعات أقرب إلى داعش، مع الإشارة إلى أنّ تنظيم داعش أصبح أكثر قدرة وفعالية في اكتساب العناصر الجدد وبناء الدعاية السياسية والإعلامية، وبالرغم من خساراته المتلاحقة، خاصة منذ خسارة دولة الخلافة إلاّ أنّه ما يزال أكثر جاذبية لجيل الشباب الباحث عن أيديولوجيا صلبة وواضحة، أكثر تماسكاً.

في مرحلة لاحقة انشقت هيئة تحرير الشام، وبرز لدينا نموذج جديد من العمل الجهادي مختلف، شكّل اتجاهاً جديداً مغايراً للاتجاهين السابقين، ويتمثل اليوم بكل من طالبان بنسختها الجديدة وهيئة تحرير الشام، ولديهم تصور معاكس تماماً لتنظيم داعش، الذي يصرّ على العداء مع الولايات المتحدة والمواجهة المسلحة معها، ومباين للقاعدة التي انطلقت نحو العدو البعيد بدلاً عن العدو القريب، وبالتالي هذا الاتجاه الجديد الذي يتسم بالمحلية وينأى بنفسه عن الصراع العالمي، قد يشكّل منافساً جديداً لنموذج القاعدة.





الخلاصة.. إشارات مستقبلية

رغم تراجع وانحدار تنظيم القاعدة في حقبة الظواهري وتراجع قدراته العملية على تنفيذ هجمات خارجية، وتعرضه للانشقاقات والانقسامات، إلا أن مستقبل التنظيم يكتنفه الغموض، ويرتبط مستقبله بجملة من الظروف والتحديات، ويتمثل التحدي الأول باختيار خليفة للظواهري تتمتع بالكفاءة والقبول من كافة الفروع الإقليمية.

سوف تلعب العلاقة مع حركة طالبان دوراً جوهرياً، وهي علاقة رهن بموقف الولايات المتحدة والمجتمع الدولي من حركة طالبان، فإذا أصرت الولايات المتحدة على عدم الاعتراف السياسي بحكومة طالبان، وعزلها اقتصادياً فـ'ن الجناح الراديكالي داخل طالبان سيعزز علاقته بالقاعدة ويقية الحركات الجهادية، وهو ما سيؤدي إلى إعادة بناء القاعدة من خلال توفير ملاذات آمنة وجلب أعضاء جدد.

في ظل تراجع جهود مكافحة الإرهاب وخصوصاً في إفريقيا سوف تتنامى قوة الفروع الإقليمية في الصومال ومالي وشمال إفريقيا، وقد ينتقل مركز ثقل القاعدة من أفغانستان إلى أفريقيا. وفي ظل اعتماد الولايات المتحدة على استراتيجية "عبر الأفق" بالاعتماد على الطائرات المسيرة والعمل الاستخباري، دون وجود قوت على الأرض، فإن استراتيجية قطع رؤوس القادة لن تحدث فرقاً كبيراً، وسوف يتمدد تنظيم القاعدة على الأرض.

نظراً لانغلاق المسارات السياسية في دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وجنوب لبحراء والساحل والقارة الإفريقية عموماً، وفي جنوب شرق آسيا، وهي مناطق تعاني من أزمة اقتصادية، فإن تنظيم القاعدة يمكن أن يعيد بناء نفسه وسط الأزمات، فهو لا يخلق الأزمات بل يستغلها.

رغم بروز نهج أكثر راديكالية وجاذبية للجهاديين والذي يمثلته تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش)، لكن تنظيم القاعدة لا يزال يتمتع بقدرة على التكيف، ورغم العداء بين ممثلي الجهادية العالمية لكن فرص التعاون ممكنة في ظل وجود عدو مشترك.

ولذلك قد يكون غياب الظواهري نفمة على القاعدة وقد بشكل نعمة، فقد ارتبطت حقبته بالانشقاقات والانقسامات، في ظل اجماع دولي على حرب الإرهاب، ومع تراجع الاهتمام الدولي بالإرهاب العابر للحدود، وبروز تعددية قطبية وتنامي التنافس بين الدول، فإن فرص الجهادية العالمية قد تكون واعدة.